الحجامة.. رحلة البحث عن الدم الفاسد !

تحقيق وتصوير /فيصل علي

لم نمنع أنفسنا من زيارته في عيادته وسط شارع الحرية في أمانة العاصمة، يستأجر شقتين في عمارة فخمة في الدور الرابع يضع لوحة بارزة إلى الشارع حتى يراها مرتادوا دار الحجامة الحديثة ،دخلنا وفي الاستعلامات في شقة الرجال أخرجت بطاقتي لموظفة ترتدي ملابس الممرضات وهي ليست ممرضه بعدها قادتني إلى غرفة الدكتور كما يسمونه لم يكن احمد صالح الواقدي كما تخيلته فقد بدا شاباً وسيماً يلبس بدلة أنيقة وللامانه لم يكن هناك رائحة بخور ولا حتى رائحة أعشاب العطارين بل كأني في عيادة احد الأطباء المشهورين كل شيء نظيف استهل احمد والذي هو رجل في الثلاثينات من عمره حديثه معنا بقوله لقد تحدثت عنا صحف كثيرة محلية وخارجية.

□ د. عارف المخلافي

بدون ترخيص

– درس أحمد دبلوم (طب نبوي) في سوريا بناء على نصيحة أخيه المرحوم جبر الذي كان يعمل في نفس دار الحجامة والذي كان يعمل كأخصائي روماتزم ويعالج بالإبر الصينية ,عاد من سوريا قبل أربع سنوات وهو يمارس الحجامة من ذلك الوقت ,وأكد لنا أن الحجامة هي سنة نبوية وهناك العديد من الأحاديث التي يذكر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الحجامة .

سألناه عن الترخيص الممنوح له من وزارة الصحة فأجاب ليس لدينا ترخيص لان الوزارة تعتبرنا عيادة طب شعبي وهي إلى الآن لم تمنح أيا من عيادات الطب الشعبي ترخيصاً ,ولكن الوزارة اشترطت عليه تعقيم الأدوات التي يستعملها وبالفعل لديه جهاز تعقيم auto claveويضعه في غرفة خاصة بجوار غرفة المختبر في شقة النساء المجاورة لشقة الرجال وتوجد متخصصة بحسب قوله تعالج النساء بالحجامة ,وأول ما يصل المريض إلى العيادة تجرى له فحوصات الدم اللازمة وهي فحص سرعة تجلط الدم وفحص سرعة النزيف وفحص (الهموجلوبين) وبعدها تتم الحجامة عبر كاسات الهواء التي توضع لشفط الدم بعد أن يقطع بمشرط الموضع الذي يريد المريض أن يحجم فيه ,سواء في الظهر أو الرأس أو الرقبة أو الفخذين بحسب الحالة والمرض الذي يعاني منه المريض.

فوائد

– يشير أحمد إلى أن الحجامة تفيد للكثير من الأمراض ومنها أمراض الدورة الدموية كعلاج ضغط الدم والتهاب عضلة القلب والتهاب الغشاء المبطن للقلب وتخفيف آلام الذبحة الصدرية وكذلك تستخدم الحجامة لعلاج أمراض الصدر والقصبة الهوائية وآلام المرارة والأمعاء وآلام الخصية وحالات عسر البول الناتجة عن التهاب الكلية وعلاج صداع الرأس والعيون وآلام الرقبة والبطن وآلام الروماتيزم المزمن وكذلك تعالج الحجامة حالات انقطاع الطمث عند النساء , وكذلك تفيد في علاج حالات الضعف الجنسي والعقم والبواسير.

كل المحافظات

– ويأتي المرضى دار أحمد من كل محافظات الجمهورية وكذلك من الدول المجاورة وخصوصا العربية السعودية كما يقول هو ,وأكثر المتعالجين بالحجامة هن النساء خصوصا بعد سن اليأس لكثرة الآلام التي تحدث عندهن في هذه المرحلة ,وكثيرة هي الحالات التي تأتي إلى دار الحجامة ولذلك العمل يستمر من الصباح إلى المساء , وأكثر من عشرين حالة في اليوم الواحد , ويفضل الناس أن يحتجموا في فصل الربيع وبعضهم يفضل فصل الصيف وكذلك في ١٧,١٨,١٩من كل شهر هجري تأسياً بالسنة النبوية ,ويقول أحمد انه ليس هناك استغلال للدين في مسألة الحجامة وإنما ذلك هو إقتداء بالسنة النبوية ,وسألناه لماذا لايتبرع الناس بالدم بدل أن يريقوه أرضا بدون أن يستفيد منه احد فقال إن التبرع بالدم هو من الدورة الدموية والحجامة هي لإخراج الدم الفاسد والزائد عن حاجة الجسم .

شهود

– وفي دار الحجامة التقينا يحيى مشعل والذي كان يعاني من صداع شديد في رأسه وتشنجات وانفعالات ولكنه بعد أن احتجم قبل أسبوعين شفي من تلك الأمراض بحسب قوله. ونفس الشيء قاله لنا عبدالله النجار الذي عمل عملية اذن وسطى وبعد شهرين أحس بالتهابات شديدة ولكنه تخلص من تلك الآلام بعد أن احتجم ,المهم في الأمر أن الكثير من المرضى يشهدون للحجامة أنها أسلوب جيد للشفاء من الآلام التي يعانون منها.

نوعان للحجامة

– ويفيد المختصون في مجال الحجامة أنها تنقسم إلى نوعين الأول حجامة جافة لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يثبت أنه يعالج بها صلى الله عليه وآله سلم ولكن أثبت اجتهاد الأطباء المسلمين وغير المسلمين فعالية هذه الحجامة مع عدد كبير من العلل والأمراض. وهذه الحجامة تعني شفط الهواء عن طريق الكؤوس الخاصة بالحجامة دون التشريط وإخراج الدم، وهذا مفيد أساسا لمرضى السكر والروماتيزم والآلام الحادة ... وغيرها من الأمراض التي استعصت على الطب الحديث,والنوع الثاني هو الحجامة الدموية أو (المبزغة) والتي بالإضافة إلى شفط الهواء بواسطة الكؤوس المخصصة لذلك يكون التشريط الذي يخرج من بعض النقط دما عالي الشوائب المخبرية و أظهرت الدراسات – كما يقولون هم فيما لم تقم إلى الآن أية جامعة أو مختبر طبي معروف بإجراء تلك الدراسات- على أن الدم الذي يخرج من الحجامة يتكون من خلايا ميتة ومواد سامة، بالإضافة إلى المكونات الأخرى للدم ,وهي كذلك فيها أنواع فرعية يمكن أن تكون شديدة ومتوسطة وخفيفة حسب الحاجة والحالة.

قديمة

– الأطباء الحديثون لهم رأياً مغايراً لما يذهب إليه الحجامون وأصحاب ما يسمى بالطب البديل (الحجامة وطب الأعشاب والإبر الصينية والتدليك) إذ يرون أن التداوي بالحجامة طريقة قديمة عفا عليها الزمن وليس هناك من اثبت صحة ما يذهب إليه الحجامين علميا ,وكل ما لديهم هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم احتجم وحث أمته على الحجامة ,ويضيف الأطباء أن الرسول الكريم لم يكن في عهده غير تلك الطريقة للعلاج ولو انه وجد غيرها كالعلاج الحديث لتدوى به .

– يصف الدكتور عارف عبدالله المخلافي الحجامة بأسلوب بدائي في الطب وقد استخدمه الأقدمون في العلاج والتداوي كغيره من الوسائل البدائية ، ثم خضعت تلك الوسائل والأساليب إلى التطوير والبحث والتنقيب ، ومن ثم تطورت إلى أساليب وطرق حديثة بحيث لا نظن من يعرف الأسلوب الحديث انه تطور من طريقة قديمة ، فمثلاً كان أول من مارس الجراحة حلاقاً، والصيدلاني عطاراً وكان الصرع تجرى له عملية جراحية بثقب عظام الرأس ومص دم (وهذا شيء مضحك الآن) وقد وصف القدامى الدورة الدموية وصفاً عجيباً لا علاقة له بالواقع وهم من عرفوا بمؤسسي الطب ومن وضع البذرة الأولى له ، وهكذا تطورت الأفكار والطرق حتى وصلت إلينا الآن بأسلوب حديث وراقي وكل يوم يتطور العلم ، وبعض النظريات اليوم ستتغير في المستقبل وهكذا ، لذلك كانت الحجامة أسلوب في التداوي في العهد القديم والهدف منه إزالة بعض الآلام أو الصداع ، فمثلاً رجل يعاني من صداع بسب إرتفاع نسبة الدم نتيجة مرض دموي أو عجز في القلب فإذا ما تمت الحجامة له وبإزالة الدم يزول الصداع وهذا صحيح ,ولكن بعد التطور العلمي صار أفضل شيء هو التبرع بالدم وهو مفيد للمتبرع وللآخرين الذين يحتاجون هذا الدم ، بدلاً من رميه,وكذلك قد يفيد كمهدئ للألم بحيث أن العصب الناقل للألم بسبب مرض بين يكون هو نفس العصب الناقل لألم الحجامة فيحدث هناك نوع من المنافسة في النقل فيحدث تحسن من الشعور بالألم الأصلي ، وهذا يحتوي على مخاطر مثل النزيف الشديد ، أو نقل فيروسات وأمراض جرثومية . ويؤكد هنا الدكتور المخلافي انه لا يوجد دم فاسد في جسم الإنسان كما يدعي الحجامون .

□□ باحثون:

الحجامون يعالجون جسم الإنسان الذي لا يعرفون عنه شيئا

□□□

مرضى يؤيدونها وأطباء يفندون فعاليتها ب"طريقة قديمة"

القواعد

– وعن القواعد التي بنى عليها علم الحجامة أشار الدكتور المخلافي أنها قواعد بدائية لا تمت إلى العلم بصلة كقولهم بأن المعدة لها مكان في الظهر ، وكذلك الإثنى عشر وتحديد عدة مواقع بأرقام معينة ,وهذا ما يسمى في الطب بالألم الراجع نتيجة تغذية جزء معين من الجلد بنفس العصب المغذي لعضو معين وهذا في الحقيقة ليس إلا نتيجة ألم عضوي في الداخل ، وعليه فإن الحجامة لن تعالج العضو المتأثر ، وبالتالي كيف ستحدث الاستجابة للعلاج طالما وان الأصل لم يعالج ، ثم كيف يوصف من يقوم بالحجامة بالطبيب الأخصائي وكل ما يعتمد عليه ليس إلا خيالات علم ، ثم إن الاعتماد على القول بأن الأدوات معقمة أريد أن اعرف ماهي الأساليب المتبعة في التعقيم وما نوع التعقيم ، وهل هناك إلمام في علم التعقيم ، وإذا قلنا جدلاً بأن التعقيم قام به القدماء وكان يفيد فلماذا نتبع بعض هذه الطرق وننكر الأخرى فلماذا لا نرجع إلى شرب أبوال الإبل للعلاج ,ويضيف الدكتور عارف بان الأسلوب الذي كان متبعاً قديماً قد تطور وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ((انتم أعلم بشؤون دنياكم)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد عُلم بأن الرسول الكريم أرسل احد الصحابة لتعلم الطب في ذلك العصر ، وقد قال عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم,ولم يقل خذوا عني طبكم.

لا يعلمون

– يؤكد الدكتور محفوظ الخليدي أن الذين يدعون أنهم يعالجون أمراض الدم بالحجامة بأنهم لا يعلمون أنهم يضاعفون من حالة المريض ,حيث كما هو مثبت علمياً أن الإنسان الصحيح عندما يتعرض لجرح أو إصابة فإنه تحصل عمليات فيسولوجية في الدم لتحد من عملية النزيف وتقوم بفصل منطقة الجرح أو الإصابة أما بالنسبة لمرضى الدم فإن مشكلتهم تكمن في خلل تلك العمليات الفسيولوجية فعندما يقوم هؤلاء الحجامون بتعريضهم لجرح مفتعل فقد يتعرضون لنزيف مستمر قد يؤدي بحياتهم إلى الخطر نتيجة لعدم وجود العوامل الفسيولوجية التي تمنع هذا النزيف .

د. محفوظ الخليدي

قطرة دم

– ويشير الدكتور محفوظ إلى أن الحجامين يستخدمون مواداً بلاستيكية في الحجامة ويدعون أنهم يعقمونها ويعيدون استخدامها لمرات عديدة ,ومن المعروف أن المواد البلاستيكية لا تعقم وإنما تأتي معقمة جاهزة من شركات الصنع للاستخدام لمرة واحدة فقط ثم يتم رميها وينصح الدكتور الخليدي المواطنين الراغبين في الحجامة بشفط دمائهم بالتبرع بالدم في بنوك الدم لدى المستشفيات كونها طرق عملية آمنه وبنفس الوقت صحية بحيث تعمل على تجديد الدم ويستفيد منها مرضى محتاجين لقطرة دم .

المطببون

– ويشير الباحثون إلى أن من يمارسون الطب البديل ليسوا أطباء ولذلك فان القانون الفرنسي يدعوهم بالمطببين Guerisseurs ,وهم أفراد لم يتعلموا أي علم ,وقد ألف المطببون كتباً في الطب البديل تشبه كتب التنجيم بحيث يعجز القارئ العادي عن فهمها فيسلم بمعلوماتها كما وردت.

– ويؤكد الباحثون أن هذا النوع من الطب الموروث والذي تناقلته الأجيال يمثل معارفاً و قواعد صحية بسيطة بعضها صحيح والآخر خاطئ ويستخدم النباتات ومواد الطبيعة والحجامة والتخريم والماء والغذاء والكي والأدعية والحجب... إلا أنه تراجع كثيراً أمام تقدم العلم والطب والثقافة,ويجمع الباحثون على أن كل طرق الطب البديل غير مدروسة و فائدتها غير مثبتة وربما تكون ضارة بالمريض ,وذلك لأن البعض يدعي أنه قادر على شفاء كل الأمراض ,ومن المعروف أن ما لا يشفى بالطب الحديث لن يشفى بالطب البديل كما أن الطب البديل لا يهتم بالجانب الوقائي من الطب ,ومن الملاحظ إن مطببي الطب البديل يصفون علاجات يعرفون عنها القليل,ويقومون بمعالجة أمراض يعرفون عنها الأقل ,وكل ذلك يصيب جسم الإنسان الذي لا يعرفون عنه شيئا.